# مرويات أم الهيثم الأعرابية في المعجم العربي

## (أصول/ السماع/ الفصحاء/ الظفر)

م.د. يحيى خليل اسماعيل الطائي

الكلية التربوية المفتوحة

# Novels UM. Al. Haitham Arab

## In the Arab lexicon

**Instructor: Dr. Yahya Khalil Esmaeel AL-Taee**

Open Educational College

(Bedouins – enterd – split – matter)

**ملخص البحث.**

يعد السماع عماد اللغة وسنامها ،والمعول عليه في كثير من شؤونها ،وأحد وسائل تقعيد أصولها ومعرفة أحوالها .وكانت البادية المصدر الذي استقى منه اللغويون علمهم ،فهم ينتجعون البوادي ، ويقصدون بيوت العرب ومضاربهم ،فيشافهونهم ،ويقيدون في ألواحهم وقراطيسهم ما يسمعون ،ولم يكتفوا بهذا ،بل سمعوا من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة. ومن بين هؤلاء الأعراب أم الهيثم الأعرابية ،التي نقل عنها بعض الكبار من اللغويين، وقصدوها مستفسرين عن بعض الألفاظ التي خفيت عنهم .وقد سجل هذا البحث ما ذكره المعجميون عن أم الهيثم ،والجوانب التي تناولتها أقلامهم نقلا عنها ،ودرس تلك الأقوال بعد تقسيمها على موضوعاتها كما سنبين بعد قليل.

## Abstract

Hearing and Memorizing is the basic and the top of language, for its relied upon in many affairs, and a means of social market assets and know their conditions. Bedouins were a source that Linguists drew their knowledge from them because they get into Bedouins houses and register what they hear in papers and, not satisfied with this, but they heard and registered from the Bedouins who entered the countries. Among those Arab, (Um Al-Haytham) whom the greatest Linguists transferred many words from she, also, a lot of interpreters went to her to ask about some of the terms. This research recorded what linguists from (Um Al-Haytham), and all the aspects that their writings dealt with, and studied those words after the split on the subject matter, as it will be shown soon.

**توطئة :**

لقد اعتمد علماء اللغة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم على مبادئ عامة حكمت تعاملهم مع المسموع من لغة العرب ،وكان لهم طريقان في السماع هما :

الأول: الأخذ عن الرواة.

الآخر : الأخذ عن أعراب البادية بالرحلة إليهم ، أو حين وفودهم إلى الحواضر[١].

وتعد عدتا السماع والنقل من أهم العدد اللتين استعملتا في تقعيد قواعد اللغة ووضع أصولها ، واعتمدوا على السماع بخاصة أساسا في صناعة المعجم ، وإثبات المعاني ، وقد عرفه أبو البركات الانباري (٥٧٧ هـ) بأنه :((الكلام العربي الفصيح ، المنقول النقل الصحيح ،الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ،وعلى هذا يخرج ما جاء شاذاً من كلام غير العرب من المولدين وغيرهم ،وما جاء شاذا في كلامهم))[٢].

وكان اللغويون حريصين على الانتقال إلى البادية والاستماع مباشرة إلى العرب الخُلّص هناك ، ومشافاهتهم من دون وسيط ، فكانوا يطوفون ويجولون أياما، وشهوراً ، وسنينا ، كما فعل الأزهري (٣٧٠ هـ)، والجوهري (٤٠٠ هـ) ، وغيرهما .

وقد لفت نظري أثناء تصفحي بعض المعجمات كثرة ما روي عن الأعرابيات ، فضلا عن الأعراب ، لذا يرصد هذا البحث ماوقع في المعجم من آثار ذلك ، متمثلاً بأم الهيثم الأعرابية. لكن قبل هذا لابد أن نقدم أمثلة لما جنته أيدي المعجمين من ثمار جولاتهم من أفواه الأعرابيات ، أو ما نقلوه عنهن بوساطة .

قال ابن قتيبة (٢٧٦ هـ): (ويُقال :عَنَسَت المرأة تَعنُس عنوساً، وعنّسَت تعنس تعنيساً فهي معنّسَة ، ورجلٌ عانس، فاذا تمّت شدّته فهو صمّل قالت أعرابية : (المتقارب)

ولكن صمّل قد عَلا الشيبُ رأسه  فروج لأفخاذ النساء جسام[٣].

فقد احتح بما سمعه من أعربية في إثبات معنى (الصمل).

وقال الأزهري :(وأما التعريس ، فنومة المسافر بعد إدلاجه من الليل ، فإذا كان وقت السحر أناخ ونام نومه خفيفة.... وأنشدتني أعرابية من بني نمير:( الرجز)

قد طلعت حمراء فنطليس  ليس لركبٍ بعدها تعريسُ[٤].

وفي تفسير قوله تعالى :(والأرض بعد ذلك دحاها )[٥] ، في معنى (دحاها) قال الأزهري : بسطها، وقال نقلا عن بعض الرواة : أنشدتني أعرابية: ( الرجز)

الحمد لله الذي أطاقا  بنى السماء فوقنا طباقاً.

ثم دحا الأرض فما أضاقا

ثم نقل عنه أن الأعرابية فسرت معنى دحا قالت :دحا الله الأرض :أوسعها. ثم قالت :(ويُقال : نام فلان فتدحى ،أي :اضطجع في سعة من الأرض )[٦].

وفي معنى المرجحن قال: (المائل .....وأنشدتني أعرابية بفيد: (الطويل)

..... ..... ..... جرى السيل في قربانها فارجحنت.

أرادات : أوقرت حتى مالت من كثرة ما حملت )[٧].

ومنها أن الأزهري سمع أعرابية تساب *أمة* لها بقولها : (( يا شقاء يا مقاء ، فسألها الأزهري من فوره عن معنى هذين اللفظين قال : فأشارت إلى سعة شقي جهازها[٨].

وفسر ابن سيده (٤٥٨ هـ)العلز بأنه القلق والكرب عند الموت، قال : ( وقالت أعرابية ترثي ابنا لها : ( الكامل)

وإذا له علزٌ وحشرجةٌ مما يجيش به من الصدر )[٩].

وفسر (( الساعة )) بالبعد قال : (وقال رجل لأعرابية : أين منزلك ؟

فقالت : ( الطويل)

وأما على كسلان وان فساعة وأما على ذي حاجة فيسيرُ . [١٠]

ومنها أنهم كانوا يسألون الأعرابيات عن معاني بعض الألفاظ التي وقع فيها الغموض ، بغية التحقق من المعنى قبل إذاعته . فقد سأل الأصمعي (٢١٦هـ) أعرابية عن النضناض قال : فأخرج[١١] لسانه فحركه ولم يزد عن هذا شيئاً .

وسيأتي في البحث أنهم كانوا يسألون أم الهيثم ـ مدار البحث ـ عن معاني بعض الألفاظ التي سمعوها من الأعراب واستغلق عليهم فهمها . فابن دريد (٣٢١هـ)فسر (همم) بمعنى (حرّك) . قال :(( اخبرنا أبو حاتم عن عبد الرحمن عن محمد ( الأصمعي ) قال: سمعت أعرابية تقول لابنتها : هممي أصابعك في رأسي ، أي : حركي أصابعك فيه )) [١٢] قلت :لعله مأخوذ من هامة الرأس .

وفسر الأصمعي ( العُصْم ) بأنه : أثر كل شيء من درس أو زعفران أو غيره ؛ لأنه سمع أعرابية تقول لجارتها : أعطيني عُصْم حنائك أي : ما سلتّ منه [١٣] . وسمع الأزهري أعرابية تقول ـ وأرادت أن تركب بغلاً ـ لعله حيوص أو قموص أو شحرور : فأثبت أن معنى (شحرور ) : السيئ الخلق[١٤] ،وأثبت أن معنى ( الخنشليل ) من الإبل : المسن البازل . فأنه سمع أعرابية وقد طعنت في السن وهي تقول : قد خنشلتُ وضعفتُ ، أرادت أنها قد أسنت [١٥] .

وقال ابن فارس (٣٩٥هـ) إن معنى الأفد : المستعجل ، بدليل أن أعرابية بعثت بنتاً لها إلى جارتها فقالت : (( تقول لك أمي : أعطيني نفساً أو نفسين أمعس به منيئتي ، فإني أفده ))[١٦] ،أي مستعجلة .

وقال ابن سيده : والأنق : النبات الحسن المعجب ، وسمي بالمصدر . قالت أعرابية : يا حبذا الخلاء ، أكلٌ أنقى وألبس خلقى[١٧] . و(( بنات ألبب )) :عُرُوق في القلب ، هكذا فسرها الجوهري في صحاحه ، ودليله أن أعرابية قالت في ابن لها قيل لها : لماذا لا تدعين عليه ،فقالت : (( تأبى له بنات ألبب ))[١٨] . فهذه أمثله لما ورد من السماع عند بعض الأعرابيات في تفسير قسم من الظواهر اللغوية .

## أم الهيثم :

من بين تلكم الأعرابيات الفصيحات اللاتي نصّ عليهن صراحة في المعجمات العربية أم الهيثم ، فقد تكرر ذكرها ، وأسبغ عليها صفة الأعرابية الفصيحة .

ولم أقف إثناء مراجعتي لكتب التراجم على تفصيل وافٍ لسيرتها ، لكني وجدت شذرات متباعدة هنا وهناك تمنحنا صورة لا بأس بها عن حياتها، كما أن المصادر لم تذكر سنة ولادتها ولا وفاتها ، وقد اختلفوا في تحديد اسمها كما هو آتٍ .

فقد ذكرها ابن النديم (٣٨٠هـ) عندما ذكر أسماء العرب الفصحاء والمشهورين الذين سمع منهم العلماء ، وسماها : غيثة أم الهيثم ، وقال محقق الكتاب : ((وفي نسخة دار المعرفة غنية ))[١٩] . قلت: اسمها قابل للتصحيف من جراء سهو الوراق و النساخ ، وقال أبو نعيم الاصبهاني (٤٣٠هـ): ((أم الهيثم البدوية واسمها غيثة بنت عبد الرحمن بن فضالة بن عبد الله بن ربيعة بن مسروح ))[٢٠].

وسماها القفطي (٦٤٦هـ) غنية ، وعدّها من الأعراب الفصحاء الذين دخلوا الحاضرة[٢١] .وهي عند ابن نقطة الحنبلي (٦٢٩هـ) عثيمة بنت عبد الرحمن بن فضالة بن عبد الله بن ربيعة بن مسروح[٢٢] ،وهو النسب نفسه عند أبي نعيم ،إلّا أنه خالفه في اسمها . وضبط اسمها بهذه الصورة ابن مجاهد القيسي (٨٤٢هـ)[٢٣] ، فاسمها يتردد بين(غنية) و (غيثة ) و(عثيمة) .

وأرى أن سبب اختلاف المؤرخين في اسمها يعود إلى تشابه الحروف بين الصيغ الثلاث مما ألبس عليهم ، وعمي عليهم الخبر الصحيح .

وتُعدّ أم الهيثم من رواة الحديث الشريف أيضا ، فقد روى عنها الطبراني (٣٦٠هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، وغيرهما من علماء الحديث[٢٤] في حدود علمي .

أما سنة وفاتها وصورة حياتها الزمانية والمكانية ،فلم أجد ذكراً لها في مدونات التراجم، ولكن استقراء مروياتها اللغوية ، ومعرفة من التقى بها وشافهها من اللغويين المبرزين يبين لنا أنها عاشت في نهاية القرن الثاني ، وبدء القرن الثالث الهجريين إلى منتصفه ، بل يزيد قليلا، بدليل أن أبا عبيدة المتوفى سنة ( ٢١١ هـ ) قد زارها في علتها وسمع عنها مباشرة، كما سيأتي لاحقاً . كما أن أبا حاتم السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥هـ ) كان ينقل عنها كثيراً ، ويحادثها ويسأ لها إن استغلق عليه أمر كما سيأتي .

ومن مبلغ اهتمام اللغويين الكبار بها تفقدهم إياها ، وعيادتها في مرضها ، واللجوء إليها عند كل معنى استعصي بيانه . فهذا أبو عبيدة يزورها ويسأ لها، لعله يحصل على جواهر كلامها ، وما لم يسمعه من غيرها من الإعراب ، وليس بالعجب ، فالجاحظ (٢٥٥ هـ)[٢٥] يقول عنها : إنها من المعول عليهم في أخذ اللغة الفصيحة ، ومرويات الشعر الصحيح ، وأخبار العرب .

والذي نريد أن نتوقف عنده بالتحليل ،هو ما روي عنها في المعجمات العربية القديمة من شعر ونثر ، وبيان الألفاظ من حيث التركيب والدلالة ، وغوامض الكلم كما سيأتي :

**<u>أولاً : الاحتجاج بما ترويه من شعر .</u>**

تعدّ أم الهيثم من رواة الشعر الفصيح كونها من الفصحاء ، وقد اتخذها اللغويون راوية في إثبات بعض المعاني ، والصيغ والأساليب . منها ما روته من قول الشاعر : (المتقارب)

فدليت رجلي في رهوةٍ ..... .

فقد استدل دريد على أن المعنى : المنخفض من الأرض قال : (( فذلك يدل على الإنخفاض ))[٢٦] ،وهو ما ذهب إليه أكثرهم[٢٧].

قلت : هذا صدر بيت ذكره بتمامه صاحب اللسان ، وهو لأبي العباس النمري وتمامه:

..... ..... ..... فما نالتا عند ذاك القرار[٢٨]

ومما جاء في هذا أيضا قول ابن دريد (( ويجمع أظفار على أظافير ، وقال قوم : بل أظافير جمع أظفور ، والظفر والأظفور سواء ، أنشدنا أبو حاتم قال :أنشدتني أم الهيثم واسمها غيثة من بني نمير :

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت ..... وبين أخرى تليها قيس اظفور[٢٩].(البسيط)

ونقل ابن سيده (٤٥٨هـ) عن ابن جني (٣٩٢هـ )أنه قال : ( أظافير ) جمع (أظفور ) و ( أظفار ) ، قالوا : فأما كونه جمع أظفار فهو جمع الجموع ، وأما كونه جمع أظفور فمن باب عروض وأعاريض[٣٠].

ويرى ابن سيده أن ( أظافير ) جمع ( أظفور ) . وقال أبو حاتم : هو الظفر والأظفور ، والجمع : أظفار وأظافير ، فأطلق القول ولم يقيد [٣١] . ولابن منظور(٧١١هـ) رأي في هذا ، قال : الظفر لما لا يصيد ، والمخلب لما يصيد، والجمع : أظفار ، وهو الأظفور نقله عن اللحياني[٣٢].

أقول : احتج ابن دريد بهذا البيت الذي رواه عن أم الهيثم بوساطة أبي حاتم . احتج على أن الظفر والأظفور سواء ،فهما واحد . ولكن الجوهري يرى أن أظفور جمع ظفر . وبهذا فهو ليس من المفرد[٣٣] . ورد عليه صاحب القاموس قال: هذا غلط وإنما هو واحد من الظفر ، وليس بجمعٍ، مستدلاً بما روي عن ام الهيثم[٣٤] .

وقال في التاج : إن عبارة الجوهري يفهم منها أن جمع الظُفْر : أظفار، وإن أظفور تجمع على أظافير .وعلى هذا فأن المراد أن ( الأظافير ) جمع لـ ( الأظفور ) الذي هو مفرد ،أو هو جمع لـ ( أظفار) الجمع ، فيكون جمع الجمع [٣٥] .

إن النصوص الواردة في المعجمات يشوبها الغموض أحيانا ، وتلبس على القارئ المراد من المعنى إن لم تجد من يفسرها كما أراد مؤلفها ، وهذا أحد مآخذ عرض المادة اللغوية .

**ثانياً : الإحتجاج بما تقول كونها من الفصحاء .**

ما برح اللغويون يراقبون ألسنة الفصحاء فيدونون ما ينطقون ، ويستنسخون ما يروون حجة لما يدّعون ، أو شاهداً على ما يرون ، وثمة من سجل من فيِ أم الهيثم ، منه ما ذكره الأزهري قال : (( اعتلت أم الهيثم الأعرابية ، فزارها أبو عبيدة وقال لها : عمّ علّتك ؟ فقالت : كنت وحمى سَدِكة ، فشهدتُ مأدبة ، فأكلت جبجة من صفيف هلَعة ، فاعترتني زلّخة ))[٣٦]. وبيان هذا أن الأزهري نقل عن الليث ( الخليل ) (١٧٥هـ)أنه قال في معنى الزلخ : رفعك يدك في رمي السهم . وقال : (( لا أحفظه لغيره، وأرجو أن يكون صحيحاً ))[٣٧]، ولكنه حفظ لغيرهِ أن المعنى وجع في الظهر، كما نقل عن أبي عبيدة عندما زار الأعرابية الفصيحة أم الهيثم .

أقول : هذا المعنى أثبته ابن الأثير(٦٠٦هـ) في حديث المحاربي الذي أراد أن يفتك بالنبي ( صلى الله عليه وآله وسلم )، قال : ((اللهم أكفينه بما شئت ، فانكب لوجهه من زلَخة زلخها بين كتفيه.....[٣٨]. وكذلك أثبته جملة من أعلام اللغة[٣٩]. وقد أورده الأزهري هنا محتجاً ،مخالفاً الليث ( الخليل ) .

وجاء في المخصص :(( قالت أم الهيثم : هؤلاء قوم من أفناء الناس ، وتفسيره : قومٌ نزّاعٌ : أي : أخلاط من ههنا وههنا ، ولم يعرف للأفناء واحد [٤٠] ،أي: لا يُقال للواحد من أفناء ؛ لأنّ هذا اللفظ يدل على الجماعة ومدلوله : من أخلاط ، فلا يصح أن يقال للواحد ، والرواية عن أبي حاتم، سمع ذلك منها .

ومع هذا فان النص يحتمل أمراً آخر ، بدليل أن ابن سيده نفسه قال في المحكم : (( ورجلٌ من أفناء القبائل أي : لا يدرى من أي قبيلة هو ))[٤١]، فاستعمل المفرد مع الأفناء ، ولكنه استدرك قائلاً: وقيل قوم من أفناء القبائل ، ولا يقال رجل ، وليس للأفناء واحد). [٤٢]

ونورد هنا جملة من أقوال بعض اللغويين فيه :

جاء في العين : رجل من أفناء القبائل : إذا لم يعرف من أي قبيلة هو . [٤٣] ، وجاء في التهذيب عن ابن الأعرابي (٢٣١هـ): (( وبها أفناء من الناس ، وأعناء أي أخلاط ، الواحد : عنوٌ وفنوٌ)) ،ثم نقل عن أبي حاتم وأبي الهيثم وليس أم الهيثم أنهما قالا : (( يُقال : هؤلاء من أفناء الناس ، وتفسيره قوم من ههنا وههنا .نزّاع ولم نعرف لها واحداً)) [٤٤] ، ففي نص الأزهري بيان أن :

١. للأفناء مفرد وهو فنو وعنو .
٢. لا يقال للافناء ( رجل ) ،بل ( قوم ) من أفناء الناس .
٣. القائل هو أبو الهيثم وليس أم الهيثم .

وقال الزبيدي : ((ولم تعرف أم الهيثم للأفناء واحد )) [٤٥]، وهذا نص يشوبه الغموض ، إذ المراد منه أن أم الهيثم لا تجيز أن يقال للواحد هو من أفناء الناس ، بل للمجموع ، وليس المراد أن ليس للأفناء مفرد من لفظه كما يتوهم القارئ ، لكن استقراء النصوص بعناء يجلو الحقيقة .

وقال الأزهري : (( قال أبو حاتم ، قال الأصمعي : أهل مكة يسمون العظاءة : الحُكأة والجمع : الحكى ، مقصور . قال أبو حاتم : وقالت أم الهيثم : الحُكاءة : ممدودٌ مهموزٌ وهو كما قالت )) [٤٦].

قلت : الحكاء أو الحُكأة : ذكر الخنافس ، والعظاءة دويبة ، وقال بعضهم :الحكاءة دويبة شبيهة بالعظاة [٤٧].

والذي يهمنا هنا سعة أفق أم الهيثم ، وعلو شأن ثقافتها اللغوية ومعرفتها بالصيغ بمعانيها المعنوية والحسية المادية.

وجاء في الجمهرة : (( إذا اشتدت خضرة الحنظل حتى يستحيل إلى الغبرة فهو خطبان . قال أبو حاتم : قالت أم الهيثم : الخطبان من الحنظل : الذي فيه خطوط سود )) [٤٨] والغبرة : لون الغبار [٤٩] ويبدو أن ابن دريد عرض لرأيها وعده توضيحاً لما نقله من المعاني نافلة .

وذهب اللغويون في معنى (مشَ) إلى تفسيره بما بما رووه عن أم الهيثم . قال ابن دريد (( مات ابن لأم الهيثم فسألناها عن علته فقالت : ما زلت أمشُ له الأشفية الدّه تارة وأوجره أخرى ... [٥٠] . والمشُ : الخلط ، يقال في هذا : مشّ الشيء إذا دافه في ماءٍ حتى يذوب [٥١] .وفي اللسان نقل هذا عن بعض العرب وليس عن أم الهيثم[٥٢].

وفي معنى (ختلعَ) جاء في الجمهرة : (( قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : ما فعلت الأعرابية التي كنت أراها معك ؟ فقالت : ختلعت ـ والله ـ طالعةً فقلت : ما ختلعت ؟ ،فقالت ظهرت ـ تريد

خرجت إلى البدو .)) [٥٣] . ونقل الأزهري هذا عن ابن دريد واصفاً أم الهيثم بالأعرابية الفصيحة ونقلها عنه غيره أيضا[٥٤] . ولنا أن نتوقف قليلاً عند هذا النص لنستشف منه ما يأتي :

١. إن أبا حاتم لم يعرف معنى ( ختلعت ) مع سعة اطلاعه وغزارة ثقافته اللغوية .
٢. أراد أن يستنطق أم الهيثم لعله يسمع من فيها ألفاظا لم تطرق سمعه قبلاً .
٣. إن جمعاً من اللغويين قد أثبت هذا المعنى نقلاً عنها .

**ثالثاً : انفرادها بذكر بعض الألفاظ والمعاني .**

ثمة ألفاظ ومعانٍ انفردت أم الهيثم بذكرها ، ولم يُسمع إلّا منها . وقد مرّ بنا قبل قليل ما ذكر عن ( ختلع ) . والآن وجدناها تنفرد بذكر ألفاظ لم أقف على معناها إلّا عندها ، وهذا ما نصّ عليه اللغويون .

فقد جاء في الجمهرة (( والحَمَاق نبتٌ أيضا ، ذكرتْهُ أم الهيثم )) [٥٥] وفي التهذيب (( والحماق نبت ذكرته أم الهيثم ، وذكر بعضهم أن الحمقيق نبتُ )) [٥٦] .وضبطه بفتح الحاء ، أما الأصل فيه فإنه بضم الحاء ومعناه الجدري وقد أثبت هذا المعنى غير واحد من اللغويين[٥٧] .

وقال ابن دريد : وقال أبو حاتم : (( قالت أم الهيثم : جلست الرخمة إذا جثمت)) [٥٨] ، والرخمة : طائرٌ شبيه النسر في الخلقة ، إلّا إنها مبقعة ببياض وسواد[٥٩] . وقال ابن سيده :(( هي طائرة ضخمة بيضاء تأكل الجيف ولا تصطاد )) [٦٠] ، ويقال للطير : جثم إذا ألصق صدره بالأرض ، وكذلك السبع ، وربما استعير لغير السبع والطير[٦١]. والجاثم (( البارك على رجليه كما يجثم الطير )) [٦٢] .وقد خُصّ الطير والسبع بالجثوم ، ولا يكاد يكون لغيرهما ، ولا يُقال : جلس الطير ، ولكن أم الهيثم ـ كما روي عنها ـ أجازت أن يُقال لنوع من الطير(الرخمة) : قعدت إذا جثمت ، لذلك قال ابن سيده (( ويُقال قعدت الرخمة وجلست ، ولا أعلم أن ذلك يُقال في غيرها من الطير)) [٦٣]. ولم يعترض أحدٌ على ذلك ، كما أنهم لم يبنوا علة نسبة هذه الخاصّة من قبل أم الهيثم إلى الرخمة من دون غيرها من الطير . ونحن هنا لا يمكن أن نحكم على ذلك لأننا لم نشاهد الرخمة عياناً .

**رابعاً : الاستفهام منها عند استغلاق فهم بعض المعاني :**

اللغوي وإن صال وجال وجاب الآفاق بحثاً عن اللفظ والفصيح، والتركيب السليم ،فأنه لا يمكن أن يحيط باللغة كلها . فهي عباب زاخر . لذلك نجد أفذاذهم يلجؤون إلى الأعراب عندما تخفى عليهم بعض الألفاظ .

جاء في الجمهرة (( أخبرنا أبو حاتم قال : سألت أم الهيثم عن الحب الذي يسمى أسفيوش ما اسمُهُ بالعربية ؟، فقالت : أرني منه حبّات ، فأريتها ، فافتكرت ساعة ثم قالت : هذا البخدق ،ولم اسمع ذلك من غيرها)) [٦٤] .

نرى من استقراء النص أن نوعا من الحبّ يسميه العرب ( أسفيوش) ، إذ يرى أبو حاتم أنه ليس في كلام العرب ، فذهب يستقصي اسمه بالعربية ، فكانت أم الهيثم وجهته . ولم يسمع ابن دريد هذا المعنى من غير أم الهيثم كما يفهم من النص، لسعة ثقافتها اللغوية ، وقوة مداركها ، وتأنيها في إصدرا الحكم على اللفظ رغبة منها في التزام الدقة في بيان المعنى .

ونقل ابن منظور(٧١١هـ)[٦٥] عن ابن خالويه(٣٧٠هـ) أنه قال : لم يعرف هذا الحب الذي يسمى أسفيوش أنه البخدق إلا من أم الهيثم .

قلت : لم أقف على هذا اللفظ ( أسفيوش) في معجمات المعرب والدخيل ، فإن كان من العربية المتروكة منها ، أو كان معرباً فلِم لم تذكره تلك المعجمات؟

فإن المتفحص للنص المذكور آنفاً يجد أن أبا حاتم سأل أم الهيثم عن اسمه بالعربية ، مما يدل على أنه ليس من لغة العرب .

**خامساً : الاحتكام الى رأيها عند تعدد الاقوال :**

قد تتعدد الآراء في دلالة اللفظ الواحد أو التراكيب أو العبارة المعجمية .وليس شينًا، بل أن العلماء قد اخذوا اللغة عن القلة من الأعراب، وفاتهم الكثير مما لم يسمعوا قصدا أو انتقادا للاستطاعة في الإحاطة والشمول [٦٦] وتعدد الأقوال في المسالة الواحدة أمر شائع في المعجمات العربية .

ومما جاء في هذا قول ابن دريد (( الحلك : السواد ، يقال : أسود من حالك وحلكوك ، ويقال : هو اشد سواداً من حلك الغراب وحنك الغراب ، والنون مبدلة من اللام ، وذهب قومٌ إلى حنك الغراب يريدون لحبيه ومنقاره وليس هذا بشيء . قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشدّ سواداً من ماذا ؟ قالت: من حلك الغراب ، قلت : أتقولينها من حنك الغراب ؟ فقالت : لا أقولها أبدا ))[٦٧] .

يستشف من هذا النص ما يأتي :

١. أن ابن دريد أجاز أن يقال هو أشد سواداً من حلك الغراب وحنكه على السواء ، ولكنه يرى أن الحنك هو الحلك ، والنون أبدلت لاماً .
٢. يعترض على من يقول : من حنك الغراب ، يريد به لحبيه ومنقاره ، ويرى أنه ليس بشيء .
٣. يحتج على صحة رأيه بما رواه أبو حاتم عن أم الهيثم ، فهي ترفض ـ وهي من الفصحاء ـ أن يقال من حنك بإرادة لحبيه ومنقاره .

ولننظر في تفسيرات اللغويين ثم نعود لنحكم على ما ذهب إليه ابن دريد .

قال أبو زيد (٢١٥هـ) : (( الحلك : اللون ، والحنك : المنسر)) [٦٨] ،وقال الفأرابي(٣٥٠هـ) : يقال : ((أسود من حنك الغراب ، وهو سواده ، وهو الحنك . ويقال أسود من حنك الغراب أي : منقاره )) [٦٩].

أقول : قد تبين من تلكم الأقوال أن الحلك : اللون ، وهو السواد ، والحنك : المنقار ، ومنقار الغراب ـ كما يعلم ـ أسود أيضا . فإذا قالوا :هو أشد سواداً من حلكه فأنهم أرادوا سواد ريشه ، خافيته أو قادمته ، أو غير ذلك من ريشه[٧٠] ، وإذا قالوا : من حنكه فلم يجانبوا الصواب ؛ لأن حنكه اسود أيضا . فكأنهم قالوا : هو اشد سواداً من سواد حنك الغراب ، فخذفت سواد . وأقيم (حنك) مقامها . وهذا باب وارد بكثرة في العربية ،. كما يجوز أن يكون ذلك (( لغة في حلك الغراب)) [٧١] .

**سادساً : الافادة منها في معرفة المترادف من الألفاظ .**

الترادف من الظواهر اللغوية المشهورة وهو (( الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد )) [٧٢] . ومما جاء في هذا قول ابن دريد: (( الوَغْدُ : الضعيف من الرجال ، والجمع : أوغاد .... وقال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : ما الوغدُ ؟ فقالت : الضعيف . قلت : أويقال للعبد وغدٌ ؟ قالت : ومن أوغد منه ؟ )) [٧٣].

يتضح لنا من استقراء النص أن :

١. ابن دريد قد استشهد بقول أم الهيثم في قوله : الوغد : الضعيف .
٢. من معاني الوغد : العبد ، هكذا أراد أن يقول ابن دريد عندما ذكر سؤال أبي حاتم لأم الهيثم . وقال في التاج بعد أن بيّن معاني الوغد((...من ذلك : الوغد العبد . قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم ....)) [٧٤].

وقد صرح اللغويون أن للوغد معاني عدّه منها : الضعيف من الرجال ، الخفيف العقل ، الأحمق ، الرذل ، الدنيء ، اللئيم الذي يخدم بطعام بطنه[٧٥] . ويرى الأصمعي [٧٦] أن الأصل : الوغد : الضعيف في كلام العرب ، ثم كثر استعمالهم له حتى قالوا للئيم وغد .

**الخاتمة**

تعد أم الهيثم الإعرابية من الأعرابيات القلائل اللاتي ورد ذكرهن صراحة وصدح بكنيتها في عدة أماكن من المعجم ويتلخص البحث عنها في الجوانب الآتية :

١. لم يتفق المؤرخون على تسميتها فقد تردد اسمها بين غيثة وغنية وعثيمة ، ولعل ذلك يعود إلى ندرة استعمال الأسماء آنذاك ، إذ ينادى الرجل أو المرأة بكنيتهما ، وأن التصحيف أخذ مأخذه في ذلك ؛لأن اسمها متشابه في رسمه مختلف في حروفه .
٢. وجدت أن رواتها هما اثنان: أبو عبيدة ، وأبو حاتم السجستاني ، فقد شافهاها وسمعا منها، واستفسرا عن بعض الألفاظ التي خفيت عليهما ، غير مرة ،وكانا يقصدانها سعيا إلى الإفادة من لسانها ، وكان ابن دريد الذي أكثر النقل عن أبي حاتم يروي عنها بوساطته .
٣. تعد من رواة الشعر الفصيح الذي يحتج به، وقد أنشد عنها في مواضع متعددة أثبتناها في البحث .
٤. الاستفسار عن معاني بعض الألفاظ التي خفيت على الأسماع ،وقد وجدت أبا حاتم يسألها وكذا فعل أبو عبيدة.

٥. الاستئناس برأيها في تفسير بعض الألفاظ .
٦. احتجوا بمنثور كلامها في بعض المواضع كونها من الفصحاء ، فكان قولها حجة.

الهوامش

---

(١) ينظر : نقد المعجم العربي القديم (أطروحة):٢٣٠
(٢) لمع الأدلة في أصول النحو لأبي البركات الانباري : ٢٠ـ٣١
(٣)الجراثيم لابن قتيبة ١١/ ١٤٦
(٤) تهذيب اللغة :٥٢/٢
(٥) النازعات / ٣
(٦) تهذيب اللغة : ٢٠٢/٥
(٧) تهذيب اللغة : ٢٠٢/٥
(٨) تهذيب اللغة : ٨/ ٢٠٨
(٩) المحكم والمحيط الأعظم :١/ ٥٢١
(١٠) المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٠٥
(١١) ينظر : غريب الحديث للقاسم بن سلام : ٣/ ٢٢٠
(١٢) جمهرة اللغة : ١/ ٢٢٤
(١٣) ينظر ديوان الأدب للفارابي : ١٦٠/١ ، والصحاح للجوهري : ٥/ ١٩٨٦
(١٤) ينظر تهذيب اللغة : ٤/ ١٠٤
(١٥) ينظر : تهذيب اللغة : ٧ / ٢٦٣
(١٦) معجم مقاييس اللغة : ١/ ١٢٠
(١٧) ينظر : المخصص : ٦ /٤٧٥
(١٨) الصحاح : ١/ ١١٦
(١٩) الفهرست لابن النديم :٧٤
(٢٠) معرفة الصحابة : ٣: ١٦٤٢
(٢١) ينظر : انباه الرواة على أنباه النحاة : ٤/ ٢٠٣
(٢٢) ينظر : إكمال الإكمال : ٤ : ١٢٤

(٢٣) ينظر توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم : ٦ / ١٩٤
(٢٤)ينظر : إكمال الإكمال : ٤ / ١٢٤ ، وتوضيح المشتبه : ٦ / ١٩٤ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ٤ / ٢٤
(٢٥) ينظر : البيان والتبيين :١ / ٧٢
(٢٦) جمهرة اللغة : ٢ / ٨٠٨
(٢٧) ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٤٦ ، واتفاق المباني وافتراق المعاني لتقي الدين الدقيقي : ١٩٤
(٢٨) ينظر : لسان العرب : ١٤ / ٤٤٣
(٢٩) جمهرة اللغة : ٢: ٧٦٣
(٣٠) ينظر :المخصص : ١ / ١٤٧ ، ولم أقف عليه فيما تيسر لي من كتب ابن جني .
(٣١) ينظر : المخصص : ١٧٤/١
(٣٢) ينظر :لسان العرب : ٥١٧/٤ ، وتاج العروس : ١٢/ ٢٤٦
(٣٣) ينظر : الصحاح : ٢ : ٧٣٩

[٣٤] ينظر : القاموس المحيط : ١ : ٤٣٣
[٣٥] تاج العروس : ١٢ / ٢٤٧
[٣٦] تهذيب اللغة : ٧/ ٩٥
[٣٧] تهذيب اللغة : ٧/ ٩٥ :
[٣٨]النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : ٢/ ٣٠٨
[٣٩] ينظر : جمهرة اللغة : ١ / ٥٩٥ ، ومقاييس اللغة : ٣ / ٣٠ ، والمحكم : ٥ / ٩٩ والقاموس المحيط : ٢٥٢/١
[٤٠] ١/ ٣١٦
[٤١] المحكم : ١٠ / ٤٩٧
[٤٢] المحكم : ١٠ / ٤٩٧
[٤٣] ٣٧٧/٨، ومشارق الأنوار في صحاح الآثار :١٩٥/٢
[٤٤] ١٥/ ٣٤٣
[٤٥] تاج العروس : ١٥ / ٣٤٣
[٤٦] تهذيب اللغة : ٥/ ٨٥
[٤٧] ينظر : جمهرة اللغة : ٢/ ١٠٥١ ، وتهذيب اللغة : ٥/ ٨٥ ، ولسان العرب : ١/ ٥٩
[٤٨] ١/ ٢٩١
[٤٩] ينظر : تاج العروس : ١٣ / ١٠٦
[٥٠] ١/ ١٤٠
[٥١] ينظر : تهذيب اللغة : ٥/ ٢٧٢ ، ولسان العرب : ٦/ ٣٤٧
[٥٢] ينظر : لسان العرب : ٦/ ٣٤٧
[٥٣] ينظر : جمهرة اللغة ٢ : ١١٢٨
[٥٤] ينظر : تهذيب اللغة: ٣/ ١٧٦ ، والأفعال لابن القطاع : ١/ ٣٢٩، والمحكم : ١/ ٤٨٣ والقاموس : ١/ ٧١١
[٥٥] ١/ ٥٦٠
[٥٦] ٣/ ٥٦
[٥٧] ينظر : الجيم للشيباني : ١/ ١٤١،و الغريب المصنف : ٢/ ٤٨٦ ، وتهذيب اللغة : ٤/ ٥٣، والمخصص : ١/ ٤٨٣
[٥٨] جمهرة اللغة : ١/ ٤١٥
[٥٩] ينظر : العين : ٤/ ٢٦٠ ، وتهذيب اللغة : ٧ / ١٦٣
[٦٠] المخصص : ٢ / ٣١٤
[٦١] ينظر : جمهرة اللغة : ١/ ٤١٥ ، والصحاح : ٢/ ٥٣٧
[٦٢] تهذيب اللغة : ١١/ ٢٠
[٦٣] المخصص : ٢/ ٣٤٤
[٦٤] ٢/ ١١١٦ ، وينظر : المخصص : ٣ / ١٨٨
[٦٥] ينظر : لسان العرب : ١٠ / ١٣ ، وتاج العروس : ٢٥ / ٣٣
[٦٦] ينظر :في فقه اللغة العربية للدكتور محمد فريد عبد الله : ١٥٩
[٦٧] جمهرة اللغة : ١/ ٥٦٣
[٦٨] ديوان الأدب : ١/ ٢٢٥ ، ومقاييس اللغة : ٢/ ١١١
[٦٩] الكنز اللغوي في اللسن العربي : ٨ ، وينظر : المحكم : ٢/ ٤١
[٧٠] ينظر : المحكم : ٢/ ٤١
[٧١] ينظر : ينظر المحكم : ٢/ ٤١
[٧٢] المزهر : ١/ ٤٠٣

[٧٣] جمهرة اللغة : ٢/ ٦٧١
[٧٤] تاج العروس : ٢٣٣/٢.
[٧٥] ينظر: العين : ٤/ ٤٢٦ ، والغريب المصنف : ١/ ٣٦٠ ، والزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٢٤٠ وتهذيب اللغة : ٨/ والمحكم : ٦ / ٤٥ ، والمصباح المنير : ٢/ ٦٦٦

[٧٦] ينظر: العين : ٤/ ٤٢٦ ، والغريب المصنف : ١/ ٣٦٠ ، والزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٢٤٠ وتهذيب اللغة : ٨/ والمحكم : ٦ / ٤٥ ، والمصباح المنير : ٢/ ٦٦٦.
: ٦/ ٤٧٥.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## جريدة المصادر


القران الكريم

اتفاق المباني وافتراق المعاني ،لتقي الدين الدقيقي المصري (٦١٣هـ)، تح :يحيى عبد الرؤوف جبر( ط _١)، دار عمار، الأردن (١٤٠٥ _١٩٨٥).

الأفعال ،لابن القطاع الصقلي ، (٥١٥ ه )، ( ط١ )، عالم الكتب ، ( ١٤٠٢ ١٩٩٢).

الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ،(٨٥٢ )، تح عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (ط ١ )،دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٥ )

إكمال الإكمال ، (تكملة لكتاب الاكمال لابن ماكولا )، لابن نقطة الحنبلي البغدادي (٩٦٩) ،تح عبد القيوم عبد النبي ( ط١ )، جامعة ام القرى ١٤١٠ .

انباه الرواة على انباه النحاة ، لجمال الدين القفطي (ط ١ )، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٤.

البيان والتبيين ، للجاحظ (٢٥٥) ، تح : حسن السندوبي ، ( ط ١) المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ( ١٣٤٥ ١٩٢٦)، طبعت بالاوفست .

تاج العروس من جواهر القاموس ،لمرتضى الزبيدي ، (١٢٠٥) ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ،(د ت ).

تهذيب اللغة ، لابي منصور الازهري (٣٧٠) ،تح : محمد عوض مرعب ، ( ط ١ ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت (٢٠٠١ ).

توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، لابن مجاهد القيسي ( ٨٤٢ ) ،تح: محمد نعيم العرقسوسي ، ( ط ١)، موسسة الرسالة ، بيروت ١٩٦٣ .
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الجراثيم، منسوب لابن قتيبة الدينوري ، (٢٧٦) ، تح محمد جاسم الحميدي ، (د ط ) ،وزارة الثقافة ، دمشق، (د ت ).

جمهرة اللغة ،لابن دريد ( ٣٢١ )، تح : رمزي منير البعلبكي ( ط ١ )، دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٩٨٧) .

الجيم ، لابي عمرو الشيباني ،تح :ابراهيم الابياري ،( د ط)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،القاهرة ، ( ١٣٩٤ ١٩٧٤ ).

ديوان الأدب ،للفارابي ، (٣٠٥) ، تح :احمد مختار عمر ، (د ط ) ،موسسة دار الشعب للطباعة، مصر، القاهرة ( ١٤٢٤ ٢٠٠٢ ).

الزاهر في معاني كلمات الناس ،لمحمد بن القاسم الانباري ( ٣٢٨) ،تح :د. حاتم صالح الضامن ،(ط ١ ) ، موسسة الرسالة ، بيروت ( ١٤١٢ ١٩٩٢).

الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ،( ٣٩٣)، تح :احمد عبد الغفور عطار( ط ٤ )، دار العلم للملايين ، بيروت ( ١٤٠٧ ١٩٨٧).

العين ،للخليل بن احمد الفراهيدي ، ( ١٧٠)، تح :د .مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي (د ط )، دار ومكتبة الهلال ، ( د ت ).

غريب الحديث ،لأبي عبيد القاسم بن سلام ،( ٢٢٤ )، تح: محمد عبد المعيد خان ، (ط ١ )، دار المعارف العثمانية ،حيدر اباد الدكن (١٣٨٤ ١٩٦٤).

الغريب المصنف ،لابي عبيد القاسم بن سلام ،تح: صفوان عدنان داوودي، (ط ١) ، دار الفيحاء ،بيروت دمشق (١٤٢٦ ٢٠٠٥).

الفهرست ، لابن النديم ( ٣٨٠) ،تح :د. يوسف علي الطويل ( ط ٢ ) ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ( ١٤٢٢ ٢٠٠٢).

في فقه اللغة العربية ،د .محمد فريد عبد الله ، (د ط)، دار البحار، بيروت لبنان (٢٠٠٩).

القاموس المحيط ،للفيروزابادي ،تح: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة ، (ط ٨ ) ،،بيروت لبنان ، ( ١٤٢٦ ٢٠٠٥ ).

الكنز اللغوي في اللسن البعربي ،عني بنشره وتحقيق حواشيه د. اوغست هفنر( د ط ) ،مكتبة المتنبي ،القاهرة ( د ت ).

لمع الأدلة في أصول ، لأبي البركات الانباري ( ٥٧٧) ، تح :،سعيد الأفغاني مطبعة الجامعة السورية ،دمشق سوريا ،( ١٩٥٧ ).

المحكم والمحيط الأعظم ،لابن سيده (٤٥٨) ، تح :عبد الحميد هنداوي ، ( ط ١ ) ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان (١٤٢١ ٢٠٠٠ ).

المخصص ،لابن سيده ،تح :خليل إبراهيم جفال ، ( د ط )، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (١٤١٧ ١٩٨٦ ).

المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،لجلال الدين السيوطي ، (٩١١)، تح : محمد جاد المولى وآخرين، ( د ط ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ،(١٩٨٦ ).

مشارق الأنوار في صحاح الآثار، لأبي الفضل اليحصبي السبتي ، (٥٤٤ ) ، (د ط )، المكتبة العتيقة ودار التراث ، ( د ت ).

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي ، (٧٧٠ ) ،(د ط )، المكتبة العلمية بيروت ، ( د ت ).

معجم مقاييس اللغة ،لأحمد بن فارس ، ( ٣٩٥ ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ( د ط )، دار الفكر للطباعة والنشر ،(د ت ).

معرفة الصحابة . لأبي نعيم الاصبهاني ، تح :عادل بن يوسف العزازي ، (ط ١ ) ، دار الوطن للنشر، الرياض، ( ١٤١٩ ١٩٩٨).

نقد المعجم العربي القديم في دراسات اللغويين العراقيين المحدثين ،( أطروحة ) ،علي خلف حسين ،كلية التربية ، جامعة بغداد (٢٠١٤ ).

النهاية في غريب الحديث والأثر .لابن الاثير (٦٠٦ ) ، تح :طاهر احمد الزاوي ،ومحمود احمد الطناحي (د ط)، المكتبة العلمية ،بيروت ، ( ١٣٩٩ ١٩٧٩).